بشر فلانهم حملة والمرجوع اليهم في حل ما قدره وقد يكون الذكر بمعنى التذكرة والموعظة بالوعد والوعيد
فيكون من قبيل قوله تعالى كلا انها تذكرة وقوله وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين ويجوز ان يراد بالذكر ما يكون
سببا للذكر الجميل من مكارم الاخلاق التي من تخلق بها انتشر صيته في الناس فقوله فيه ذكركم معناه
في علمه والعمل بما فيه جميع ما يحتاجون اليه من امر دينكم ودنياكم كحسن الجوار وصلة الرحم وتعظيم امر الله
والشفقة على عباد الله وصدق الحديث واداء الامانة والوفاء بالعهد وغير ذلك فذكر الذكر واريد به
مكارم الاخلاق الموجبة للثناء الحسن فيكون من باب ذكر السبب وارادة المسبب واعلم ان قوله تعالى
ثم صدقناهم الوعد عطف على قوله وما ارسلنا قبلك اى قد ارسلنا قبلك رجالا يوحى اليهم ثم
صدقناهم الوعد فمحمد عليه السلام نبي كساير الانبياء بشر مثلهم ولا بد ان يصدق الله وعده فاحذروا
يا قريش سوء العاقبة ونزول البلاء على تكذيبه ثم قال تعالى ولقد انزلنا فقد اجاب عن هل هذا الا بشر
مثلكم بقوله وما ارسلنا وادرج فيه التهديد ايضا بقوله ثم صدقناهم ثم بين انه قد اتاكم ما يكفيكم و
يغنيكم عن اقتراح الايات ويوجب ايمانكم به وهو الكتاب الذي فيه ذكركم افلا تعقلون فيؤمنون
ويرتدعون من اقتراح غيره من الايات وعن القدح فيه بما لا يليق به ويقتضي بداهة العقول ببطلانه
قوله فلما ادركوا المالم يجب ان يكون ما اصاب المهلكين من الناس محسوسا باحدى الحواس الظاهرة
جعل قوله احسوا استعارة تبعية بان شبه ادراكهم الناس بادراك المحسوس فاطلق عليه اسم الاحساس
واشتق منه قوله احسوا قوله اى ما اترفتم فيه اى الى نعمكم التي خولتموها وتوسعتم فيها حتى بطرتم
بها فكفرتم واعرضتم عن مخولها وشكره قال المترف المتوسع عيش العليل فيه نعمة والمعنى ارجعوا الى
نعمكم والى مساكنكم التي تسكنونها لعلكم تسألون غدا عن اعمالكم فتخلصون انفسكم بذلك او ارجعوا
اليها واجلسوا كما كنتم في مجالسكم وترتبوا في مراتبكم حتى يسالكم عبيدكم ومن ينفذ فيه امركم ونهيكم
ويقولوا لكم بم تامرون وماذا ترسمون كعادة المخدومين ولعل الناس يسالكم مما في ايديكم ويستمر
ويستشيرونكم في المهمات والنوازل او ارجعوا الى نعيمكم ومساكنكم لعلكم تسألون غدا عما جرى
عليكم وعلى اموالكم ومساكنكم فتجيبوا السائل عن علم مشاهدة بالكثارات الانبياء اللازم فيه
للاستخفاف والثار الانتقام من القاتل بقتله مكان المقتول يقال ثار القتيل وبالقتيل اى قتل قاتله
وباء بقطع ولم من الثارات الاخبار عن وجوب طلبهن دعوا على انفسهم بالويل فقالوا يا ويلنا
وبينوا وجه استحقاقهم به بان قالوا انا كنا ظالمين على انفسنا بتكذيب الرسل قال تعالى فما زالت
تلك الكلمة وهي يا ويلنا دعويهم اى دعاؤهم فتلك مرفوع على انه اسم ما زالت ان جعلت الدعوى
منصوبة المحل على الخبرية او منصوب على انه خبر وان الدعوى اسم وكل واحد من الوجهين جيد لانهما
معرفتان وحصيدا من باب التشبيه البليغ اى مثل الزرع المحصود والفعيل بمعنى المفعول يستوي فيه المفرد
والجمع والمذكر والمؤنث قوله وهو مع حصيدا بمنزلة المفعول الثاني وليس كل واحد منهما مفعولا على
حدة لان جعل لا يتعدى الى ثلث مفاعيل فانه قد عدي الى مفعوله الاول وهو ضمير الجمع فلا يتعدى بعده

بعده الى مفعولين اخرين فلذلك جعل حصيدا خامدين بمنزلة مفعول واحد كما اذا قلت جعلته حلوا
حامضا فانه في معنى جعلته جامعا للطعمين وكذلك ما نحن فيه فانه في حكم قولك جعلناهم جامعين لمماثلة
الحصيد والخمود قوله او صفة له عطف على قوله بمنزلة المفعول الثاني اى يجوز ان يكون خامدين صفة للحصيد
فانه مفرد في معنى الجمع وان يكون حالا من الضمير المستكن في حصيدا قوله خامدين استعارة تبعية شبه الموت
بخمود النار وانطفائها فاطلق عليه ثم اشتق خامدين قوله فينبغي ان يتسلقوا بها اى بان يتعلقوا ويترقوا
بسببها فان تسلق مطاوع لقولك سلقته سلقا اذا القيته على ظهره وربما يقال سلقيته سلقاء بزيادة
الياء واشار المص بالى وجه التعلق بهذه الاية بما قبلها وهو انه تعالى لما بين اهلاك القرى لاجل تكذيبهم
اتبعه بما يدل على انه فعل ذلك عدلا منه ومجازاة على ما فعلوه وهو انهم ضيعوا ما خلقه الله لفوائد
دينية ودنياوية اما الدينية فهي ان يتفكر المكلفون فيها ويستدلوا بها على عظمة الله وكبريائه وكمال
حكمته وقدرته واما الدنياوية فهي ما يتعلق بها من المنافع التي لا تعد ولا تحصى لمن اعرض عن زخارفها
فلم يتسلق بها الى الاستكمال بالكمالات العلمية فجدير ان يهلك ويجعل نكالا وعبرة لغيره ثم انه تعالى
لما ذكر انه لم يخلق هذا السقف المرفوع والمهاد المبسوط وما بينهما من بدايع الموجودات وغرايب المصنوعات
لان يتلهى به ويلعب وبين انه انما لم يتخذ ما يتلهى به ويلعب حيث ان الحكمة صارفة عنه لا من جهة عدم
القدرة على اتخاذه فقال لو اردنا ان نتخذ لهوا اى ما يتلهى به على انه مصدر بمعنى المفعول يقال لهوت بالشيء
الهو لهوا اذا لعبت به لاتخذناه من جهة قدرتنا عليه لكنا لم نتخذه لعدم ارادتنا اتخاذه ومن فسر
اللهو بالولد والمراة فقد اخرج الكلام عن الالتيام بما قبله قال الامام الواحدي اللهو طلب الترويح
عن النفس ثم المراة تسمى لهوا وكذا الولد لانه يستروح بكل منهما ولهذا يقال لامراة الرجل وولده ريحانتاه
والمعنى لو اردنا ان نتخذ امراة ذات لهو او ولدا ذا لهو لاتخذناه من لدنا اى مما نصطفيه ونختاره
مما نشاء من خلقنا كقوله تعالى لو اراد الله ان يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء وقال المفسرون اى من
الحور العين هذا رد لقول اليهود عزير وقول النصارى في المسيح وامه من كونهما ولدا وصاحبة
ومعنى من لدنا من عندنا اى بحيث لا يجرى فيه تصرف لان ولد الرجل وزوجته يكونان عنده غيره انتهى
قوله ويدل على جوابه يعني ان كلمة ان في الاية شرطية وجواب الشرط محذوف لدلالة جواب لو عليه
والتقدير ان كنا فاعلين اتخذناه ولكنا لم نفعل لانه لا يليق بالربوبية وفائدة تكرير كلمة الشرط ان الاولى
لتعليق الاتخاذ بالارادة وانتفى الاتخاذ بالارادة والثانية لتعليق الاتخاذ المترتب على الارادة فمن
يفعل ذلك ويقتضيه حكمة قوله والجملة كالنتيجة للشرطية كانه لو اردناه لفعلنا ولكن لم نرده فما كنا
فاعلين ثم الترقي اضرب عن حديث تعليق اتخاذ ما يتلهى به على تعلق ارادته بذلك وعلى كونه ممن يجوز له
ان يفعل ذلك وجعله كالمسكوت عنه لبيان ما هو اهم بالنسبة الى ما قبله وهو ان شانه تعالى ان يسلط
الحق ويورده على الباطل حتى يذهبه ويهلكه قوله وانما استعار لذلك اى استعار القذف للتغليب والتسليط
واستعار الدمغ للمحق والمحو بان شبه الحق بالجرم الصلب الثقيل وشبه الباطل بالجرم الاخر الاجوف

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)